وجُبر حالي لجبر حالته ... ضرًّا وبؤسًا وغربةً وضنا

قد عدّل الدهر بيننا فأنا ... نظيره في الشقاء وهو أنا

لا هو يستطيع فكّ مرودِه ... لمّا غدا في يدي مرتهنا

ولا مجالي لضيق ذات يدي ... فيه اتّساع للعفو حين جنى

فهذه قصّتي وقصّته ... فانظر إلينا وبيننا ولنا

فلمّا وعى القاضي قصّتهما وتبيّن خصاصتهما وخصّصهما أبرز لهما دينارًا من تحت مصلّاه وقال اقطعا به الخصام وافصلاه فتلقّفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجدّ لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرّتي وسهمك لي عن أرش أذيّتي ولست عن الحقّ أميل فقم وخذ الميل فعرا الحدث لما حدث اكتئاب وجم له قلب القاضي وهيّج أسفه على الدينار المضيّ إلّا أنّه جبر بال الفتى وبلباله بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرءا المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات فما عندي كيس للغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو ضجره مذ بضّ حجره ولا ينصل كمده مذ رشح جلده حتّى إذا أفاق من غشيته أقبل على غاشيته وقال قد أشرب حسّي وناجاني حدسي أنّهما صاحبا دهاء لا خصما ادّعاء فكيف السبيل إلى سبرهما واستنباط سرّهما فقال له نحرير زمرته وشرارة جمرته إنّه لم يستخرج خبيئهما إلّا بهما فقفاهما عونًا يرجعهما إليه فلمّا مثلا بين يديه قال لهما اصدقاني سنّ بكركما ولكما الأمان من تبعة مكركما

فاجر

فأحجم الحدث واستقال وأقدم الشيخ وقال

أنا السروجيّ وهذا ولدي ... والشبل في المخبر مثل الأسد

وما تعدّت يده ولا يدي ... في إبرة يومًا ولا في مرود

وإنّما الدهر المسيء المعتدي ... مال بنا حتّى غدونا نجتدي

كلّ نديّ الراحة عذب المورد ... وكلّ جعد الكفّ مغلول اليد

بكلّ فنّ وبكلّ مقصد ... بالجدّ إن أجدى وإلّا بالدد

ونجلب الرشح إلى المحظ الصدي ... وننفد العيش بعيش أنكد

والموت من بعد لنا بالمرصد ... إن لم تفاجي اليوم فاجى في غد

فقال له القاضي لله درّك فما أعذب نفثات فيك وواهًا لك لولا خداع فيك وإنّي لك من المنذرين وعليك من الحذرين فما تماكر بعدها الحاكمين واتّق سطوة المتحكّمين فما كلّ مسيطر يقيل ولا كلّ أوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتّباع مشورته والارتداع عن تلبيس صورته ثمّ فصل عن حضرته والخزي يلمع من جبهته قال الحارث بن همّام فلم أر أعجب منها في تصاريف الأسفار ولا قرأت مثلها في تصانيف الأسفار

المقامة التاسعة الاسكندرية

قال الحارث بن همّام طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب إلى أن جبت ما بين فرغانة وغانة أخوض الغمار لأجني الثمار وأقتحم الأخطار لكي أدرك الأوطار وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء أنّه يلزم

Copyright © King Saud University